دليل اختيار تخصص الطالب بعد المرحلة الثانوية

أ.د. محمد زكي خضر

في نهاية كل عام دراسي يتخرج طلبة من الدراسة الثانوية وتبرز أمامهم وأمام ذويهم مشكلة اختيار التخصص الذي سيتجه إليه الطالب الذي سيحدد مستقبل حياته. سنحاول في هذا المقال نناقش هذا الموضوع، لعله يكون عونًا في الوصول إلى القرار الصائب الذي يطمح له الطالب وأسرته على حد سواء.

الضغط الاجتماعي على الأسرة والطالب:

إن النظرة إلى المهنة والشهادة في نظر الكثيرين أهم من كفاءة الشخص وحسن خلقه وحسن تعامله وإخلاصه وأمانته وما يقدم من خدمة لمجتمعه. وهذه أدت إلى حرص المجتمع على دفع الأسرة الحريصة على مستقبل أولادها (بنين وبنات) إلى الضغط على أولادها للحصول على علامات تؤهلهم إلى المهن التي تشتهر سمعتها في المجتمع (كالطب والهندسة) وليست حاجة المجتمع الفعلية ولا قابلية ورغبه الطالب نفسه. لذلك فهناك حاجة إلى حملة توعية مجتمعية لإعادة النظر في كون الاحترام يعتمد على الشهادة أو المهنة أوالوظيفة أو المركز الاجتماعي. وهذا واجب الإعلام والتعليم وواجب وجوه المجتمع كذلك.

ضغط الأسرة على الطالب

تحاول كثير من الأسر بشتى الوسائل الضغط على أولادها (بنين وبنات) للحصول على العلامات العالية في نهاية الدراسة الثانوية بتوفير الأجواء الخاصة أحيانًا أو الدروس الخصوصية أو بالضغط النفسي والمعنوي أحيانًا أخرى. وفي هذا بعض الحق في ذلك نظرًا لصعوبة تغيير المسار الدراسي بعد هذه المرحلة. وهذا الضغط له محاسنه ومساوئه، حيث أن الاهتمام بالعلامات على حساب السلوك والتربية الأخلاقية من جهة وعدم تقصي القابليات الذهنية والبدنية والميول والرغبات للأولاد في هذه السن يؤدي في كثير من الأحيان إلى فشل أو ردود فعل متأخرة ليست في صالحهم. إن على الأسرة (الأبوين خاصة) إدراك أن التربية تبدأ من الولادة ولكل مرحلة من المراحل العمرية أساليبها في التعامل مع الأولاد. ويفترض أن يكون الطالب أو الطالبة قد وصل إلى درجة من النضج بحيث يتصرف بحكمة ومسؤولية في هذه المرحلة.

المهن المستقبلية والفرص المتاحة

نرى في كثير من الاحيان فتح أقسام وتخصصات في الجامعات، تثبت الأيام بعد سنوات قلة الحاجة لها ومن ثم تكثر البطالة بين خريجي تلك التخصصات. إن التنبؤ بالحاجة إلى المهن والتخصصات القادمة أصبحت أكثر صعوبة اليوم من العقود الماضية وذلك بسبب التسارع في التقدم التكنولوجي. فهذا التقدم يقضي على مهن وينتج مهنًا جديدة لم تكن موجودة في سابق العقود. فما كانت تفعله الثورة الصناعية في قرون فعلته الثورة التكنولوجية في عقود. وما فعلته الثورة التكنولوجيا في عقود الآن وبفعل الأتمتة يتغيرالآن في سنوات. والمستقبل هو للمهن الابداعية التي تستعمل التقنيات الحديثة. وللأسف لا يزال نظامنا التعليمي تقليديا ولا يحظى بالتجديد. لذلك فمن الضروري قيام الجهات المعنية بالتخطيط الاعلان عن مؤشرات لحاجة البلاد إلى تخصصات وعزوفها عن تخصصات لكي تكون الجامعات وكليات المجتمع والمدارس المهنية على دراية بالاتجاهات المستقبلية، ومن ثم توجّه خططها وبرامجها وفقًا لذلك.

شخصية الطالب وقابلياته

يختلف الناس في قابلياتهم الشخصية سواء ما ورثوه من آبائهم وأمهاتهم أو ما تعلموه وتربوا عليه في الأسرة والمجتمع. يمكن للمعلمين النابهين القريبين من طلبتهم أو من له خبرة في اختبارات الشخصية استنتاج شخصية الطالب ربما أكثر من الوالدين. وربما على الوالدين استشارة من له خبرة في معرفة المزايا الشخصية للطالب أو الطالبة، لكي يكتشفوا القابلية أو الشخصية. إن العمل في مهنة تتعارض مع شخصية الطالب وقابلياته يؤدي في كثير من الأحيان إلى الفشل، حتى ولو أحرز معدلاً عاليًا.

ميول الطالب وآماله

هناك من الأشخاص من ينشأ ويُربّى وقد وضع في مخيلته المهنة التي يرغب أن يعمل فيها في مستقبل حياته. وقد يكون ذلك عن حبه شخصًا يعمل بمهنة معينة أو ملاحظته من يعمل في تلك المهنة أو الميل إلى العمل في مهنة أبيه. وقد يكون ذلك بتزيين الوالدين له بتشجيعه كي يحب مهنة ما. فهناك من يرغب بالاتجاه نحو العمل الفكري ويحسن ذلك، وهناك من يرغب بأن يكون عمله يدويًا ويحسن ذلك أو غير ذلك من الميول. كما أن كل مهنة لها نوع من نمط الحياة يجب أن يتخيله الطالب، فمثلا في مهنة الطب يجب أن يعتاد على توفير خدمته لمهنته ليل نهار وأن يكون مستعدًا للتضحية براحته ونمط حياته في مهنته. لذلك فمن الضروري إعطاء الطالب فكرة دقيقة وشاملة عن كل الخيارات المتاحة. وهناك مهن تتيح العمل في أكثر من نمط أكثر من غيرها. كما أنه يجب التمييز بين رغبة الطالب الآنية أو المتقلبة وبين الرغبة المدروسة عن نضج وتفكير واقعي دقيق.

هل علامات الثانوية (التوجيهي) دليل مناسب لاختيار مستقبل الطالب

إن مشكلة الامتحان ومعدلات النجاح ونوعية وصعوبة أسئلة الامتحان وغيرها من الأمور التي تؤثر في أعداد المتخرجين من الدراسة الثانوية تكاد تكون من المشاكل العالمية التي لم يستطع العالم أن يجد لها بديلاً سهلاً. فالعلامات التي يحصل عليها الطالب ليست مقياسًا دقيقًا لقابليته في النجاح والتفوق في تخصص معين دون سواه. لكن المشكلة هي أن القبول في الجامعات وكليات المجتمع الرسمية والخاصة ليس لها وسيلة الآن سوى الاعتماد في قبولها بشكل أو بآخر على علامات التوجيهي.

الرضا والسخط عند عدم الحصول على التخصص المطلوب

في ضوء الأوضاع التي شرحناها، فإن الكثير من الطلبة لن يحصلوا على التخصص الذي يرغبون فيه، رغم أن رغباتهم لم تكن مبنية على أسس صحيحة. وقد يؤدي ذلك إلى سخط وعدم رضا بالتخصص سواء أثناء الدراسة أو بعد التخرج. إن على المرء أن يؤمن ويرضى بما قسم الله له. فكم من شخص رغب في تخصص أو مهنة وحصل عليها ولكن لم يتوفق فيها.

حاجة الأمة أو البلد إلى تخصصات معينة

الاتجاه العام في العالم اليوم نحو الصناعات الابتكارية. ولكن بلداننا لا تزال تحتاج إلى تخصصات قديمة. فمثلا إن كثيرًا من الأجهزة الميكانيكية باهضة الثمن تعمل مدة 30 أو 40 سنة، رغم حصول تقدم هائل في أجهزة تقوم مقامها حديثة تعمل بأسلوب أو تقنية حديثة. لذلك من يعمل في مثل هذا الحقل عليه أن يحسن التعامل مع أجهزة قديمة وأخرى حديثة في الوقت نفسه. فإن لم يجدد معلوماته بقي على تأخره وانحصر عمله في حقل ضيق. فالنجاح يكمن في التعلم المستمر مدى الحياة.

ومن جهة أخرى فإن هناك حاجة إلى توجيه النابهين والأذكياء إلى مهن إنسانية كالاقتصاد والإدارة واللغات والشريعة والحقوق. فهذه المهن هي المهن التي يتدرج فيها الخريج نحو قيادة المجتمع، وهي تحتاج الأذكياء وذوي القابليات الذهنية والشخصية. لكن ما يحدث مع الأسف هو العكس.

توفر الخيارات

من الاعتيادي حين يملأ الطالب طلبات التقدم إلى الجامعات وكليات المجتمع أن يختار عددًا من الخيارات بشكل تنازلي حسب رغبته تحسبًا لحالة ما إذا لم يحصل على الخيار الأعلى أن يحصل على الخيار الأدنى. إن حسن اختيار هذه التخصصات المتقاربة في مواصفاتها قد يكون هو الحل الأمثل. كما أنه إذا كان هناك خيارًا بين جامعات قريبة أو بعيدة أو جامعات حكومية أو جامعات خاصة أو جامعات بأجور عالية وأخرى بأجور أقل، إن كل ذلك يجعل مهمة اختيار التسلسل الأفضل صعبًا. وقد يكون لتدخل الوالدين أو الأسرة أو من يثقان به، أمرًا لا مناص منه في بعض الأحيان بسبب الضغوط الاقتصادية أو مستوى دخل الأسرة. ليس هناك حل سحري لهذه المعضلة، ولكن على الطالب أن يكون على قدر من الفهم والمسؤولية بعدم تحميل أسرته فوق طاقتها لضمان تماسك الأسرة وسعادتها.

خصوصيات لدراسة الطالبات

هناك اختلاف بين طرق التعامل مع ما يتعلق بالمرأة بين بلد وآخر. وهذا ينعكس على المهن التي تعمل بها المرأة بعد تخرجها وعلى البيئة التي ستعمل فيها. إن علينا أن نقرّ أن هناك مهنًا تصلح للمرأة وهناك مهن أصعب من غيرها على المرأة خاصة التي تحتاج إلى جهد بدني. كما أن نظرة الأسرة تجاه ابنتهم وحرصهم على سلامتها قد يكون أكثر من حرصهم على الشباب.

على الأسرة أن تتخيل الوضع المستقبلي لإبنتهم وكذلك الطالبة نفسها عليها أن تكون بمستوى من الإدراك والتخيل للمستقبل كي تختار التخصص المناسب لها وفق قابلياتها وشخصيتها وفي ضوء تقاليد المجتمع وقابلية الأسرة المالية وليس وفق هوى النفس أو اندفاع الأبوين بإصرارهما على تخصص معين. كما يجب تجنب الاغتراب بالنسبة للطالبة قدر المستطاع.

الخلاصة

مما سبق نصل إلى اقتراح أسلوب الوصول إلى التخصص بخطوات عملية كما يأتي:

1- ما هي الفرص المتاحة والتي تعرض وتدرس مع الطالب أو الطالبة دون ضغط أو تدخل بإملاء رغبة الوالدين أن يكون ولدهما بمهنة معينة مع الايضاح له أو لها بمحاسن ومساوئ كل خيار، مع الأخذ بالاعتبار توقع أن تكون المهنة لها حاجة في السوق بعد التخرج لكي لا يعاني من البطالة.

2- ما هي رغبة الطالب نفسه للاختيار من الفرص المتاحة وفي الوقت نفسه إطلاعه على حاجة الأمة أو الوطن إلى تخصصات معينة.

3- تدقيق اختيارات الطالب بعد ذلك بما يتناسب مع قابلياته فإن اختار الخيار غير المناسب لقابلياته يجب تدارسه معه ونصحه وتقويمه.

4- من الضروري عدم التركيز على خيار واحد بل أن يكون هناك أكثر من خيار حسب تسلسل أهميتها وفق النقاط أعلاه، فقد يكون المعدل يستحيل معه الحصول على الخيار المفضل مما يستوجب الانتقال إلى الخيار التالي وعندها يجب أن يكون الرضا بما يختاره الله فعسى أن يكره المرء شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرًا.